شاعر الحب والفلوات

ذو الرُّمَّة

محمود محمد شاكر

— ٣ —

« ذو الرُّمة يخبر فيُحسن الخبرَ ، ثم يردُّ على نفسه الحجّة
من صاحبه فيحسن الردّ ، ثم يعتذرُ فيحسنُ التخلّص ،
مع إنصاف وعفاف في الحكم » أبو عبيدة

تتحدّث الباديةُ بأسرارها حديثَ اللّوعة الخالدة في ضميرها ، فتحنُّ الرياح وتئنُّ من أرجائها ، ويقفُ « غيلان » يصغي اليها حتى تجاوبُها نفسه فتناجيها بأشواقها الى « ميّ » ، هذه اللوعة المتنهّدة في سر حياته ، فيحنُّ مع الريح حنينها ويئنُّ أنينها ، ولكن ميعةَ الصِّبا ، وغرّة الشباب ، وبراءة الروح من عذاب الحب ، تأبى عليه كلها أن يحزن مع هذه الرياح الباكية حزناً كحزنها يستهلك النفس في طغيانه وعتوه . فرح غافل : قد وجد دنيا كان يقلقُ إليها ، ينشقُّ عن أمنى لامٍ : إذْ تحدّرتْ عليه دنياهُ وهو يتصبب إليها.

يقف «غيلان» ؛ وان دمه ليتوهّج متدفّقاً في مذاقيه ، وان آماله لتستقبلهُ من كل وَجْهٍ تومض اليه إيماضةَ البرق في حواشي السحابة السوداء ، وان خياله ليمثل له ميّاً وأياماً جنّةً ناعمة تتفيّأ النفس من ظلالها متاعاً لا تنقضي لذته . وتجيشُ غوارب الشباب بين جنبيه متلاطمة يتكفّأ بعضها على بعض ، فتنبعث قوته بتيارها مريدة مصممة زاعقةً ، لا تنثني عن هذا الهدف الذي نشأ أمامها فتنها ودلّهها . فهو يريد « ميّاً » ، ويريد من أجلها كل شيء . سيسمو الى « مي » بنفسه وحياته وشعره ، وسيمنحها النفس والشعر والحياة غير ضنين . سيذهب الذاهب فيها ، مطوي البد كالطيف في ضمير الليالي ، وسيجتابُ الحضر كالشعاع في مسرح الشمس ، وسيأتيها ثمار الحياة ناضجة تغري وتنادي ، فتستجيب لها « ميُّ » من أعماق روحها مشتاقة منقادة . سيقذف بنفسه في كل سبيل ، لتردّد البيداء والحضر صدى خطوته لقماً حلواً ينساب فيأخذ كل سمع ويستميل إلى شعوره كل جنان . سيحمل اليها لحناً بدويّا عذباً رقيقاً بعيد القرار متجاوب الايقاع ، ينبعث في جوّ الشعر

العربي فيلين القلوب القاسية ، ويذيب الاكباد المتحجرة ، ويحيي بالشوق من أهلكته الصبابة وأحرقهُ الوجد وذرّاه الهيام . وتلتف حولهُ عشرون عاماً مضت عليهِ من يوم وُلد كأنها أغلالٌ وسلاسل ، فهو يجاهدُ أن ينفضها عنهُ ليحرر لميّ كل حياتهِ وكل همهِ وكل أمانيهِ ، فاذا فعل فقد رجّعت البادية اسمه واسمها ، وثارت ميٌّ الى الصوت تستشرف ، لترى هذا القلب العاشق المتيّم الذي استكنّ في صورة رجل بدويّ لا تملك الطرف على عيناهُ فتنة ساحرة أو جمال بارع . ويومئذٍ لا تأبى عليهِ ميٌّ إلاها ، بل تعرف ذلك الفتى الذي وهبَ لها من عينيهِ وقلبهِ عَلاقة الأبد

هكذا كانت تقول له نفسهُ ، وهكذا جعلت خطرات الهوى تندفع بهِ في تأمّله ، وتمر الأيام بهِ وهو يلحُّ على نفسهِ إلحاح الحائر المحروم يتعجّل ميقات ما يتشهّى أن يكون . ولكنهُ لا يجد من حيلتهِ إلاّ أن يفيض الى ديار ميّ يطوف بها ، يختلس النظرة اليها وهي على باب خبائها تستقبل الشمس بسُنّة وجهٍ تتلألأ عليها أشعة الشرق، فتكسوها غلالة من بهاء يتلهّبُ ، حتى تضطرم في قلبهِ نار الوجد عليها . أو يلمحها وهي تنعطف بجيد غزال تريد حياءها فتنعطف في إثرها دواعي هواه . فكانت هذه الخطراتُ مما تزيده شوقاً وغراماً وصبابة ، ثم يعود قد طوى النفس على ظمإٍ يائس ، لم يروَ إلاّ ليستأنف شدّة والتياحاً . هكذا كان يتقلب غيلان في أيامه ولياليه . أما ميّ فكانت لا تحس شيئاً ، ولا تجد لغيلان في نفسها صدًى أو ذكراً . إنهُ شيءٌ كان ثم مضى ، لم تلتفت اليه الفتاة التفاتة المريض المتذكر

ويحوم « غيلان » يوماً حول ديار « مي » بأسافل « الدهنا » ، واذا هي تغسل ثياباً لها ولأمها في بيتٍ رثٍّ من الشعر ، فيهِ خروق يرى الناظر منها ما وراءها . ويلمحها متجرّدة منكشفة ليس بينها وبين عينيه إلاّ الهوى ومهالكهُ . لقد ارتدّت هذه اللمحة الى قلبه حريقاً يتسعر حتى أتلفت كل ماضيه ، انهُ رجلٌ ليس له ذكرى إلاّ ذكرى واحدة سوف تمرض لهُ مع كل مشرقٍ ومغيبٍ ، فلا يذكر من مواضي أيامه إلاّ ما رأى في يومه هذا .. فتنة وغراماً وتعذيباً لا تنتهي غوائلهُ . يمضي تلقاء وجهه كالهارب من لذع ما يجده ، ولكنه لا يلبث أن يعود لينظر النظرة الاخرى ، فلا يجدها إلاّ قد لبست ثيابها وجلست الى أمها تحدثها تلقاء باب الخباء . ويذهب ويجيء في تحرّقه ، فتسوّل لهُ نفسهُ أن يقبل على ميّ وأمها ليسمع حديثها من قريب ، فيدّعي لهما انهُ أضلّ بعيره فهو ينشده ، فما يروعه إلاّ أن تدعوه العجوز فيدنو ويجلس اليهما ، وجعلتا تناقلانه الحديث سرداً واحداً لا تسألانه ولا تستخبرانه عن شيء من أمره . أغفلته الفتاة وجهلتهُ أمها ، كأنْ لم ترياه من قبل . أهكذا تقتحمُ « غيلان » عيونُ الناس فلا تأبه له ولا تبالي به ? فترتبد وجوهه ، وتختلج شفتاه ، وينطلق مسلماً مودعاً نافراً كأنما مرشته في مجلسه حية أو أطارته رجفة عن حلمه ، وينصرفُ أشد

ما كان يأساً ووجداً وهياماً . تعجبُ ميُّ لما ترى مما غشيَ العجوز عنهُ . إنه ينظر إليها بعينين ترى في شبابهما لمحاً ، وفي وقعهما لذعاً ، وفي تتابعهما ممممة تتكلم كلاماً ولا تبينُ . وتلتفت ميٌّ إلى عجوزها وتقول : أُمّـاه ! تالله انه للفتى البدويُّ الذي دخل علينا بخوائنا عام أول يستسقي !! إنه لهو ذو الرُّمة قد ثاب الينا ! وكأني يا أُماه قد قرأت في عينيه أنهُ اطلع عليَّ آنفاً فرآني متجردة من حيث لا أرى ولا أشعر ! اذهبي يا أُماه فقصّي أثره من حيث لا يراك

وتعجل أمها وراءه وقد ذكرته وعرفته ، وتعود اليها تقول : أرأيت يا ميّ ؟ إنه والله لهو ذو الرمة ! لقد أخذته عيني من قريب وهو لا يراني ، ولقد رأيته يتردد آنفاً أكثر من ثلاثين طرفة ، كل ذلك يدنو فيطلع اليك ثم يرجع على عقبيه ، ثم يعود . وإني لأخاف عليك بعد اليوم يا بنيّتي ، فقد وقعتِ في لسان شاعر فيما أرى ، وما أنسى ما حييتُ ما قال لي فيك : أما والله ليطولنَّ هيامي بها ! اللهمَّ إنا لا نسألك ردَّ القضاء ، ولكن نسألك اللطف فيه !

ويعود ذو الرُّمة الى دياره غضبانَ أسِفاً ، ولكنهُ قد عزم وصمم . فستكون له ميّ عرفتهُ أو أنكرتهُ ، وسيهدي اليها بشعر يضيء لعينيها طريق قلبها رضيتهُ أو كرهتهُ ، وسيقذف على ألسنة الرواة ، من شعره الذي يذكرها فيه حتى تتلقف الآذان اسمها فتطلع اليها والى أخباره وأخبارها . فلا يلبث من فوره ان ينشد الناس في الأندية ذلك الرجز الذي ذكرناه آنفاً : « هل تعرف المنزل بالوحيد ؟ » ؛ ثم يُردف اليها ذلك الرجز الآخر الذي يقول في أوله :

« فيها نعيَّ الحرماتِ الهمَّدا والنؤيَ ، والرميمَ ، والمستوقدا »
والشمعَ — في آياتهنَّ — الخلّدا »

والذي جعل يتكذب فيه بما لم يكن وبما لم يرَ من ميّ ومن صواحبات لها ، فيقول يذكرها ويذكرهنَّ ، وأن الديار ورسومها قد هاجت كمده :

« أوفى لمن هاجت له ان يكمدا أولى ، وإن كانتْ حلاةً بعدا »
« وقد أرى والعيش غير أنكدا ميًّا بها ، والخفراتِ الخردا »
« غرّ الثنايا يبتسمنَ الأمردا والأشمط الرأس وإن تجلدا »
« قواتلَ الشرقَ قتيلاً مقصدا إذا مشينَ مشيــة تأودا »
هزّ القنـــا لانَ وما تخضدا يركضنَ ريطاً اتين العضدا »

وسالت أودية بني عدي بهذا الشاعر الذي نبغ بينهم ، وتناقلوا ما أنشدهم ، وتساءل القوم : ما ميّ هذه التي يذكرها ؟ وكل امرىء يخشى ان تصيبه معرَّة هذا اللسان العاشق حين يتولج الى حرمه بالصبابة والوجد . وأقبل على « غيلان » اخوته يستخبرون خبره ، ويسألونهُ عن ميّ من تكون ؟ وجعلت القبيلة « غيلان » تتأخر عن الناس بفرقة البائس بحجته ،

وائتمن عليها أخاه مسعوداً فهو أحق الناس بالامانة: إذ كان عوناً له في سفره ، وصديقاً قد اقترب ما بينهُ وبينهِ ، ولم تعد للسن قدرة على التفريق بينهما في المودة التامة المتوثقة

ولم ينشب هذا والشعر ما سواه أن تدفق الى ديار بني منقر من كل وجه ومكان ، وعرفت العجوز وعرفت مي أنهُ يريدُها ، وأن الامر قد استفحل ، وأن الحزم أن يثبت الرأيُ قبل أن تذهب ساعته ورأت العجوز أن تقطع هذا اللسان المتقحم باليأس ، فاذا ملكه اليأس غلبهُ العيّ والحصر ، وانتهى امرهُ — كما ينتهي أمر كثير سواه من نوابت الشعراء — إلى الحاجة ثم فترة ثم سكون . فدسّت العجوز الى فتى من بني منقر يقال له «عاصم» دسيساً رغبهُ في ميّ ، ويُسنّي له من امرها ما قد يتعسّر عليه ، ويكفل له رضاها ان تكون له زوجاً. فسعى «عاصم» إلى العجوز سعي الملهوف ، وجعل عاصمها ويعرّض لها بخطبة ابنتها حتى صرح ، فرضيتهُ لابنتها ، ليكون عاصماً لها من لسان هذا المتجرىء الباغي اليها الفضيحة والعار. واستشيرت ميّ في أمرها فقبلت ، وتم الرأي على أن يبنى بها حين يشاء ، فسارع عاصم وقضي الامر

أما ذو الرّمة فقد رجع الى دياره ، ثم أوفض منها الى البصرة نافراً عجلاً يريد ان يقضي فيها عامه هذا حتى يصيب من الذكر بين أئمة العلماء وفحول الشعراء ، ما يردّ عليه راحة قد استلبتها هذه الفتاة الطاغية التي أحبها ذاكراً مردّداً راغباً ، فكان جزاؤه منها أن اقتحمته وأسقطته ، ولم تعرف له حقاً بذكر أو هوى يكون منها على بال . ونزل هذا البدوي مدينة الحضر ، فجعل يتلفت هنا وهنا ، فلا يجد إلفاً يألفه إلا شذاذ القبائل الذين نزلوا «البصرة» ، وخلطوا أنفسهم بالتجار وأوشاب أهل الاسواق ، وجعل يتسكع معهم حائراً بين حوانيت البقالين واشباههم ، قد فترت همّته عما كان خرج له من بلاده

وكانت البصرة تموج بالناس من نواحيها ، واجتمع فيها من العلماء والشعراء ما لم يجتمع في مثلها من قديم ايام العرب ، فقامت فيها سوق من اعظم اسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، تضارع سوق عكاظ منتدى الشعراء من اهل الجاهلية ، وهي «المربد» : يربد البصرة ، حيث تجتمع العلماء والكتاب والشعراء يكتبون وينشدون ويتفاخرون ويتهاجون. وأقبل ذو الرمة — هذا البدوي الراجز — يسمع الى الرجز والشعر الحديث . فلما سمع من رجز العجاج ورجز ولده رؤبة علم انهُ اذا ألحّ على الرجز لم يقع من هذين الفحلين موقعاً : ورأى أنهُ اذا بقي عليه يقوله ، عرّه ما يقول ، فعزم ان يصرف نفسه عنه ويعول على الشعر وحده . وكان ما يسمعهُ من الشعر في هذه السوق المطيبة قد هاج في نفسه الرغبة في المنافسة ، إذ كان الشعر أسهل مأتى ، وأوسع مجالاً ، وأدنى الى القدرة على الاجادة ، وأولى أن يكون تصريف القول فيه أحسن وأنبل ، وان الرجز لا يطيق ما يطيقه الشعر من المعاني. وكانت نفسه إذ ذاك تتحرك معاتبة الى ميّ ، وتتوق لها ، وتريد متنفساً تبث فيه لوعتها

وأشواقها، والعجز لا يستوي على إرادتها ، وقلَّ في العشاق من الشعراء من تَعجَّزَ بحبه . وكذلك بدأت نفسه تستقبل الشعر وحده، وتدع الرجز لهؤلاء الحذاق اللاكِّ الأكباد يقولون في أغراضه ما يقولون

ولا يكاد يشك في أن الشهور التي يقضيها ذو الرمة بمدينة العلم والشعر والحضارة ، قد جعلت تهزُّ نفسه هزّاً عنيفاً متتابعاً لا هوادة فيه ، وأن شدَّة ما لقي من الغربة في هذه البيئة الجديدة التي لا عَهْدَ له بمثلها ، قد أحدثت له فترةً وانكساراً ، وكادت تذهب به في الخمول مذاهبها . ولكن العاطفة المحتقة التي تجيش بين جنبيه كانت توجه هذه النفس إلى الغاية التي أعدت لها . وكذلك بقي ذو الرمة حائراً لا يدري كيف يتوجه بالرأي والعزيمة، فهو يدخل حوانيت البقالين يبقى فيها يسمع من لغو أهل الحضر ما يسمع ، ثم ينصرف إلى المساجد وقد علَّق الناس على عمائمهم يسمع من هؤلاء وهؤلاء ، ويتلقف الكلمة بعد الكلمة مما يدرك من جدلهم وأحاديثهم . ثم يفكر في ذلك ما شاء الله ، لم يأخذ نفسه بالدُّربة على شيء مما يتعلمون أو يتناقلون . وكان أكبر ما شغل عليه خواطره قول هؤلاء المتكلمين في القضاء والقدر، وما يتنازعون فيه من الشر الذي يقع في هذا العالم ، أهو مُرادٌ من الله تعالى أم غير مرادٍ ؟ ويعجبهُ أن يذهب الى أن الشرَّ ليس مراداً لله تعالى ، وأن ارادته لا تتعلق إلاَّ بالخير ، وأن الناس وما سواهم هم الذين تتعلق بالشر ارادتهم . فكان له في هذه المجالس شغل عما يتردد بين جنبيه من وساوس هي وبلابلها ، وأخذت تهدأ على الأيام حدَّة ما يجد من ذكرها ، ويذهب عنهُ عناءُ ما يلقى من خيالها . وكان كل ذلك يرقق من قسوة البادية التي نشأ فيها ، ويلين من جفائها وغلظتها ، ويمهد لسماحة أهل الحضر ورقتهم وظرفهم ومآخذهم طريقاً في نفسه ، يهديها الى السمت النبيل المتواضع الذي درب عليه الناس ممن يعاشرهم في هذه المدينة

وأنس به أهل الحاضرة — « البصرة » — ؛ فكان لبلاغة منطقه ، وحسن تهديه الى غاية القول ، وصدق عبارته عما في نفسه ، وقوة بيانه البدوي عن المعاني التي يبتذلها أهل الحضر بأهاطلهم ، وسرعة بديهته فيما يعرض له ، وقدرتهُ على تخيل الأشياء بذلك الفكر البدوي المحض، وإرساله في الكلام شعاعاً من الفطرة السليمة التي لم تفسد على الترف والعبث والمخالطة، كل ذلك جعل أهل البصرة — من عرفه منهم — يحبه ويستدنيه ويتحفّى له ؛ حتى صار يدعى الى أعراسهم وأفراحهم وملاهيهم ، ليسمعوا من حلو حديثه البدوي صفة هذه الأشياء التي لا عهد لأحد من أهل البادية بها . فكان ذلك سبباً في أن يقال عنه — بعد أن طار اسمه في الآفاق : — هذا الشاعر البدوي ! ! تالله لقد كنا نراه بالبصرة طفيليّاً يتدسَّس الى العرسات ! !

وشغله التزيد عن شعراء البادية الذين كان يألفهم ويروي شعرهم ؛ وجعل يسمع مناقضات

جرير والفرزدق والأخطل ، ويحفظ ما يرد على المربد من شعراء الحجاز ، ولكنه لا يجد عند أحد من هؤلاء ما وجد عند « الراعي النميري » : من تنفّس واب كأنما يقذفه مرجل أوقدت عليه نار لا يخبو لها سعير . فهذا القلق الذي استولى على رأيه في الشعر ، وهذا السأم الذي استبدّ بعزمه في الحياة ، وهذه اللوعة التي اعتسفت قلبه في الحب ، كل أولئك كان يعدّ هذا اللسان الشاعر اعداداً جديداً لتنطق البادية العاشقة على عذباته أجمل بيان وأعنفه ، وأروع نجوى وأحلاها ، وأدق نعت وأشكله . فكانت أيامه بالبصرة تدريباً لا بد منهُ لهذه النفس البدوية المفطورة على جانب من الخشونة والجفاء

ومضى العام عليه بالبصرة ، فاجتوى ريح الحاضرة من طول ما أقام بها ، فآثر أن يعود الى ديار قومه بالبادية ليتنسّم تلك الرَّوْحة الحبيبة الى القلب البدوي ، وليستروح نسمات هي إن أطاق أن يكفكف من كبرياء نفس ثائرة متمردة عنيفة في أصل جبلتها . والبادية هي البادية قلّ أن تتغير لها صورة أو يجد لها جديد ، فنزل على الفن قديم حبيب ، تتلقاه أمةٌ رفيقة به على عاداتها ، ويسائله اخوتهُ ولداتهُ عن أمر الحاضرة كيف وجدها ، وما لقي فيها ، وما الذي أحبّ منها وكره ، وكيف ترك ابن عمه « أوفى » ، وقد زعموه تحضر وأخذ من علم الحاضرة ، يسمع في مساجدها عن شيوخ الحديث حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . فينبئهم بأخباره ، وأن أوفى قد ترك البصرة في طلب حديث نافع مولى ابن عمر ، فلم يلقه بها . ويحدثهم أنه لقي أمّ الصهباء معاذة بنت عبد الله العدوية العابدة ، وما يتناقل الناس من أخبار عبادتها وتقواها

ويقيم ما يقيم ، ثم يعزم على أخيه مسعود في الرُّفقة حتى يزور ميّاً ، ليتزود منها نظرةً لعلها تردّ عن صدره هذه البلابل التي نشأت توسوس له أن قد أصابها مكروه . وينهاه مسعود أن يتبع نفسه هذه الفتاة التي عشّقته وأنهكتهُ وشغلت عقله عن أمر دينه ودنياه ، وقبيح بالرجل أن يلجّ على من أعرض أو نأى عنه بجانبه ، والنساء بالنساء أشبه من النعامة بالنعامة ، فما هذا العناء الذي يفني فيه أيامه ولياليه ؟ ثم يرى مسعود في سُكات أخيه أنيناً يلتجّ تحت المدأة ، وينظر في عينيه إطراقة تستصرخ غوث الرحمة ، فيأوي لذلك الشبح المستكين وراء هذه التجاليد العابثة المستحصدة ، ويشفق عليه أن تنهب حياته هذه الأشواق التي تتنازعه من كل مذهب عاطفة أو صبابة . « لك ما شئت يا غيلان ، فأنت والرحيل كيف عزمت ، وإني لرفيقك حيثما وجهت » . وهكذا يصبح مسعود عون أخيه في هذه الأسفار التي ينتزع لها بعد جلادة . ويرتحلان يقصدان بلاد بني منقر ، فاذا الديار بلاقع ليس بها أنيس ، الا هذه الظباء وهذه المها تتهادى كأنهنّ العذارى يرفلنَ في بيض الجلابيب . ويعوج ذو الرُّمة على النؤي والرسوم ينظر اليها نظرة الواله المتوحش ، ويدور عليها كأنه يستخبرها وهي تستعجم عنه

لا تجيب ، «والدار لو حدثته ذات أخبار» . يظلّ ذو الرمّة يتوهم لنفسه أوهامها في ميّ ، ولكن لا تخطئه وسوسة الغيب بأمرٍ ذي بال قد أصاب صاحبته ، فهو يزداد التياطاً كلما ازداد ريثاً في مكانه من هذه الاطلال الخُرْسِ النواطق . ثم تنزو به روعةٌ كأنه آبدٌ قد نشط من قيده ، وينطلق يجوب هو ومسعودٌ هذه الفيافي يسألها من مذاهب ميّ في غوامضها ومنكراتها . وهكذا يبدأ هذا العاشق يتطوّح في أقدار مجهولة لا يدري أين ينتهي به مسيرُه ومسراه !

ولكن لا يلبث ان يجد في أسفاره جماعة من بني منقر قد انفردوا من أهلهم في أرض يتتبعون تهما ، ويسألهم عن أخبار ميّ ، فيعلم يومئذٍ ان قد ذهب بها عاصم المنقري . وبناء ! لقد تهدّم البناء الشامخ من كبريائه على قلبٍ حيّ نابضٍ صبٍ لم يسكن ساعة من ندامى ميٍّ من وراء الأسوار المضروبة عليه . ألم تعلم هذه الحبيبة ان غيلان قد أخلص لها حقيقة ما في قلبه من الحب والهوى ؟ ألم تدرك بعد أن حياته كانت تفيض اليها متدفقة من أغوار النفس الجياشة بالعشق والصبابة ؟ أكانت هي الغريرة البلهاء حتى لا تجد على نفسها لواذع نظراته اليها ملتاعاً قد توقد وجده بها ؟ ألم يكن في عينيه ووجهه وحديثه عهد المحبين الى من أحبوا ؟ وتغوّلت به الارض الفضاء فلم يجد الا ضلالاً وحيرة في وحشة هذه الحياة المجدبة الجرداء ، التي قذفت به نيها هذه الفتاة اللاهية من جد الحب الذي لا يلهو ولا يهزل ، أي غدرٍ قد ألقى به في مَضْلّاةٍ مظلمة قد افترشتها أفاعي الغيرة والغيظ والضغينة ، فانطلقت تنهش منه بأنيابها ، وترسل في عروقه ذلك السم الذي يغلي عليه دمهُ ؟ ! وفي سكنة البيداء التي لا حس فيها ولا ركز ، تتراءى اليه من كل وجه أصوات تتردد «ميّ ، ميّ» وتقع في سمعه الى قلبه سهاماً مسددة تنفذ في ريشها تنشُّ كأنها سكّةٌ محماة

ما أقسى هذه الساعات التي تمر عليه وهو كالملقى على جمرات الغيظ في غمرات من لهيب الغيرة ! ! انها تمضي لا يحس منها الا حريق الزمن خالداً عليه ، لا ينقضي ولا ينقطع . وأخوه مسعود الى جانبه ينظر مشفقاً متلدداً الى شبح ساكن لا يتود منه شيء أو يتحرك . من لهُ بأن يسلّ أخاه المسكين من أمواج أطبقت عليهِ من كل مكان ؟ ان الصمت وحده هو كل ما يستطيع ان يعين به أخاه على بلوى هادمة مدمرة ، صمت ينطق بالمشاركة والاسعاد ، والرقة والحنان . ليتهُ ما أطاعهُ ، بل ليتهُ أغرى أخاه بالرحلة في جانب من الارض بعيد فعسى كان يستجدُّ له من نوازع الحياة ما يكفيه شر ميّ وشرّ هواها

وكذلك يخطو ذو الرمّة الخطوة الاولى في الطريق الى حقيقة الحب ... : في الطريق الى العذاب ... ، في الطريق الى الجحيم الذي يجعل النفس العاشقة سعيدة بالالم : متشبثة به ، آلفة له ، باحثة عنه لو فتر عنها أو سكت